الدببة الثلاثة



بيروت

حكايات جدتي

الدببة الثلاثة



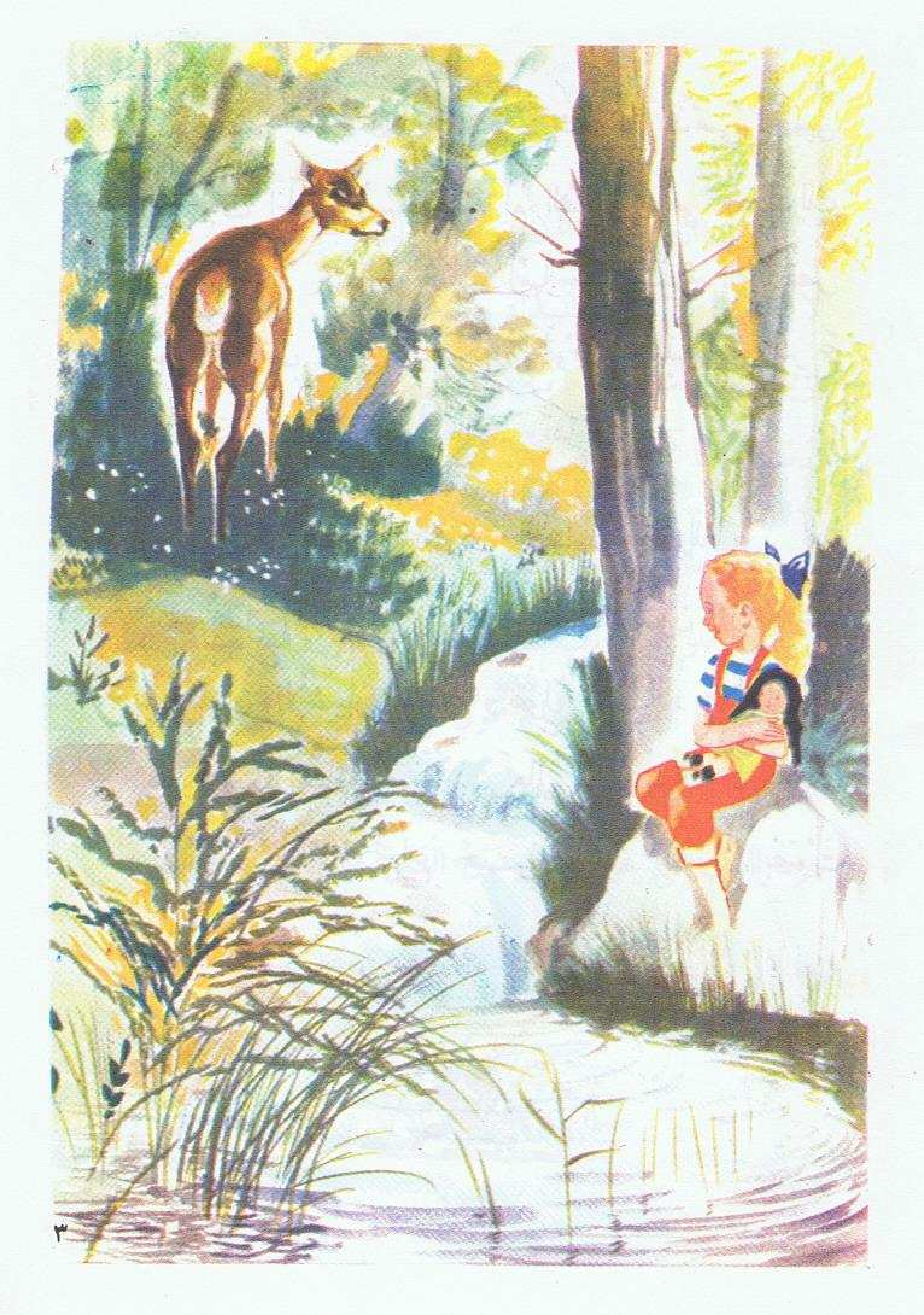
دار شهرزاد

الدببة الثلاثة

يُحكى أنَّ فتاةً جميلةً طيِّبةَ القلْبِ كانت تسكُنُ مع أسْرتِها في مكانٍ مُنعزلٍ عنِ النّاسِ بالْقُرْبِ مِنْ غابةٍ كبيرةٍ لا يعْرِفُ أحدٌ لها نِهايةً .

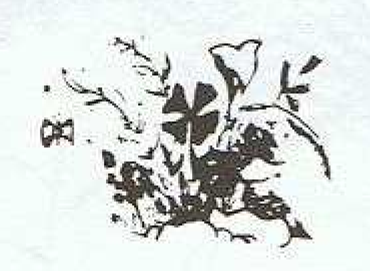
وكانتِ الأمُّ كثيراً ما تنصحُ ابْنتَها ، وتُحذِّرُها مِنَ الابْتِعادِ عنِ المنْزِلِ ، لِأنَّ الْجِنِّيَّةَ تقُصُّ شعْرَ كُلِّ فتاةٍ تُمعِنُ السَّيْرَ في الْغابةِ بعيداً عنْ بيْتِها .





وَلَقَدْ كانَتِ الْفَتاةُ تَزْدَهي بِشَعْرِها الذَّهَبِيِّ الْجَميلِ حَتّى باتَ الْجَميعُ يُسَمّونَها « أُمَّ الشَّعْرِ الذَّهَبي » ، لِذَلِكَ فَإِنَّها ما تَكادُ تَسْمَعُ تَحْذيرَ أُمِّها مِنَ الْجِنِّيَّةِ الَّتي تَقُصُّ شَعْرَ الأَطْفالِ حَتّى يَتَمَلَّكَها الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ وَتُسْرِعَ إِلى دُمْيَتِها تُلاعِبُها وَتَهُزُّ لَها سَريرَها .

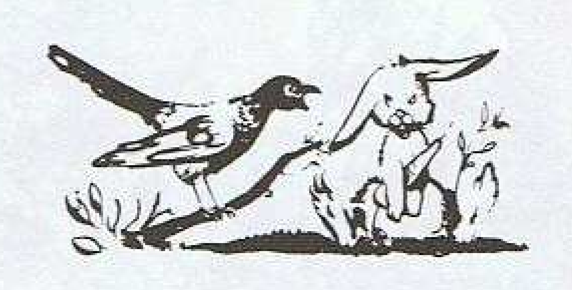
وَلَكِنَّ هذا كُلَّهُ ما كانَ لِيُنْسِيَها حُبَّها لِلْغابَةِ . لَقَدْ كانَ يُخَيَّلُ إِلَيْها وَهِيَ تَسْمَعُ حَفيفَ الْغُصونِ الَّتي يُداعِبُها الْهَواءُ أَنَّ الأَشْجارَ تُناديها وَتَقولُ لَها : « تَعالَيْ إِلى عِنْدِنا أَيَّتُها الْفَتاةُ الْجَميلَةُ .. تَعالَيْ إِلى عِنْدِنا » . فَكانَتْ تَسُدُّ أُذُنَيْها عَنْ سَماعِ هَذا النِّداءِ وَتَقولُ بِصَوْتٍ



خَفيضٍ : « إنَّ أُمّي تَمْنَعُني مِنْ ذَلِك » .

وَفي ذاتِ يَوْمٍ أَصْغَتْ « أُمُّ الشَّعْرِ الذَّهبي » لِنِداءِ الأَغْصانِ ثُمَّ لَبَّتِ النِّداءَ وَفَتَحَتِ الْبابَ وَخَرَجَتْ في طَريقِها بَيْنَ أَشْجارِ الْغابَةِ ... إلى أَيْنَ تَسيرُ ؟ ... ماذا سَيَحْدُثُ لَها ؟ ... لا أَحدَ يَدْري !..

لَقَدْ مَلأَ السُّرورُ قَلْبَها وَهِيَ تَقْفِزُ هُنا وَهُناكَ بَيْنَ الأَشْجارِ ، تَقْطِفُ الأَزْهارَ ، وَتَسيرُ مَعَ السَّاقِيَةِ ، الَّتي تُغَنّي وَهِيَ تَسيلُ فَوْقَ الْحَصى . وَلَمّا يُنْهِكُها التَّعَبُ ، كانَتْ تَجْلِسُ فَوْقَ الْحَشائِشِ الْخَضْراءِ ، ثُمَّ تَعودُ لِلسَّيْرِ عَلى غَيْرِ هُدًى بَيْنَ الْمَمَرّاتِ الضَّيِّقَةِ ، حَتّى



وَجدَتْ نفسَها بَعْدَ حينٍ وَقَدْ ضَلَّتِ الطَّريق .

إسْتَوْلى عَلَيْها الْفَزَعُ في بادِىءِ الأَمْرِ كَثيراً ، وَخُيِّلَ إلَيْها أَنَّ الأَشْجارَ اللَّطيفَةَ باتَتْ قاسِيَةً جِداً وَأَنَّ الطُّيورَ فارَقَها مَرَحُها ، وَأَنَّ الْحَشائِشَ فَقَدَتْ خُضْرَتَها الزَّاهِية .

كُلُّ شَيْءٍ بَدا حَزيناً لِفَتاتِنا التّائِهَةِ ، وَلَكِنَّها تَشَجَّعَتْ وَمَضَتْ مُسْرِعَةً لَعَلَّها تَهْتَدي إلى الطَّريقِ الَّذي يَقودُها إلى مَنْزِلِها .





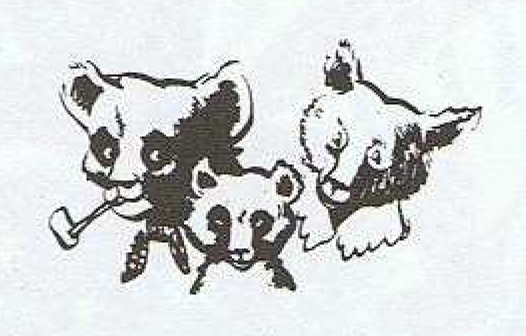

Miel

كانَ يَسْكُنُ في وَسَطِ هذِهِ الْغابَةِ أُسْرَةٌ مِنَ الدِّبَبَةِ . الدُّبُّ الأَكْبَرُ وَكانَ ضَخْمَ الْجُثَّةِ ، قَوِيّاً ، يَمْشي فَيُسْمَعُ لِخَطْوِهِ وَقْعٌ شَديد .

وَالدُّبُّ الأَوْسَطُ ، لَمْ يَكُنْ كَبيراً وَلا صَغيراً ، وَلَمْ يَكُنْ قَوِيّاً وَلا ضَعيفاً ، وَلكِنَّهُ كانَ وَسَطاً في كُلِّ شَيْء .

وَالدُّبُّ الأَصْغَرُ ، وَكانَ صَغيراً وَديعاً كَأَنَّهُ دُمْيَةٌ مِنَ الدُّمى الْجَميلَة .

وَفي ذلِكَ الْيَوْمِ كانَ الدُّبُّ الأَوْسَطُ قَدْ أَعَدَّ حَساءً لِطَعامِ الْغَداءِ ، وَانْصَرَفَ إِلى إِعْدادِ الْمائِدَةِ ،



فَسَكَبَ طَبَقاً كَبيراً وَوَضَعَ بِجانِبِهِ مِلْعَقَةً ضَخْمَةً كَبيرَةً مِنَ الْخَشَبِ ، لِلدُّبِّ الأَكْبَرِ . ثُمَّ سَكَبَ لِنَفْسِهِ طَبَقاً مُتَوَسِّطاً ، ثُمَّ سَكَبَ لِلدُّبِّ الأَصْغَرِ طَبَقاً صَغيراً وَوَضَعَ أَمامَـــهُ مِلْعَقَةً صَغيرَةً مِنَ الْفِضَّةِ ، ثُمَّ دَعا الْجَميعَ إلى تَناوُلِ الطَّعامِ .

ذاقَ الدُّبُّ الأَكْبَرُ الْحَساءَ ثُمَّ صَرَخَ بِصَوْتٍ مُخيفٍ :

ــ إِنَّ هذا الْحَساءَ حارٌ جِدّاً .

تَناوَلَ الدُّبُّ الأَوْسَطُ مِلْعَقَتَهُ وَذاقَ الْحَساءَ فَوَجَدَهُ حارّاً جِدّا .

عِنْدَئِذٍ تَرَكَ الدُّبُّ الأَصْغَرُ مِلْعَقَتَهُ وَهُوَ يَقولُ :





ـــ إنَّ فمي يكادُ يحترِقُ فلْنتْرُكْ طعامَنا على الْمائِدةِ ولْنذهَبْ في نُزْهةٍ قصيرةٍ إلى الْغابَةِ في ٱنْتِظارِ أنْ يبْرُدَ الطَّعام .

في هــذِهِ الأثْناءِ كانَتْ « أمُّ الشَّعْرِ الذَّهبيِّ » قدْ قادَتْها قدَماها إلى منْزِلِ الدِّببَةِ فلَمْ تجِدْ أحداً ، وكانَ الْجوعُ والتَّعبُ قدْ نالا مِنْها منالاً عظيماً فاقْتَربتْ مِنَ الْمائِدَةِ ورائِحَةُ الطَّعامِ تمْلأُ أنْفَها .

وجدَتْ أمامَها كُرْسِيَّ الدُّبِّ الأكْبرِ فجلَستْ علَيْهِ بِصُعوبَةٍ وهَمَّتْ بِتَناوُلِ الْمِلْعقَة فلَمْ تسْتَطِعْ لِشِدَّةِ ثِقْلِها ، فنزَلتْ عنِ الْكُرْسِيِّ الْكبيرِ وصَعِدتْ إلى الْكُرْسِيِّ



الأَوْسَطِ ، ثُمَّ تناوَلَتِ الْمِلْعَقَةَ وَذاقَتِ الْحَساءَ فَوَجَدَتْهُ حارّاً جِدّاً .

فَنَزَلَتْ وَهِيَ تَقولُ في نَفْسِها :

– لَمْ يَبْقَ أَمامي سِوى الْكُرْسِيِّ الصَّغير .

جَلَسَتْ عَلَيْهِ فَوَجَدَتْهُ مُناسِباً لَها تَماماً ، فَتَناوَلَتِ الْمِلْعَقَةَ وَأَكَلَتِ الْحَساءَ كُلَّه .

وَلَمْ تَكَدْ « أُمُّ الشَّعْرِ الذَّهَبِيِّ » تَنْتَهي مِنْ طَعامِها حَتّى مادَ الْكُرْسِيُّ مِنْ تَحْتِها وَانْكَسَرَ إلى قِطْعَتَيْنِ ، فَقامَتْ مِنْ فَوْرِها وَكانَ النُّعاسُ قَدْ بَدَأَ يَدُبُّ إلى عَيْنَيْها وَذَهَبَتْ إلى غُرْفَةِ النَّوْمِ ، فَماذا وَجَدَت ؟





وَجدتْ سَريراً كَبيراً عالِياً ، فَصعَدتْ فوْقَهُ بِصُعوبَةٍ شَديدَةٍ ، وَلَمّا ٱسْتلْقَتْ عَلَيْهِ لِتَنام وَجدَتْهُ قاسِياً جِدّاً ، فَنزَلَتْ عَنْهُ وَصَعَدَتْ إلى السَّريرِ الأَوْسَطِ الَّذي يَليهِ ، وَلَمْ تَكَدْ تَسْتَقِرُّ فَوْقَهُ حَتّى وَجدَتْهُ رِخواً لَيِّناً ، فَتَرَكَتْهُ إلى السَّريرِ الثَّالِثِ فَوَجدَتْهُ صَغيراً يُناسِبُ جِسْمَها ، وَلَهُ مِخَدَّةٌ بَيْضاءُ صَغيرَةٌ ، وَعَلَيْهِ لِحافٌ وَرْدِيُّ اللَّوْنِ ، فَقَفَزَتْ فَوْقَهُ بِسُهولَةٍ وَٱسْتَسْلَمَتْ لِلنَّوْمِ .

عادَ الدِّبَبَةُ الثَّلاثَةُ مِنْ نُزْهَتِهِمْ وَهُمْ يُعَلِّلونَ النَّفْسَ بِالحَساءِ اللَّذيذِ الَّذي يَنْتَظِرُهُم .

دَخَلَ الدُّبُّ الأَكْبَرُ أَوَّلاً ، وَجَلَسَ إلى المائِدَةِ ،





وَلكِنَّهُ سَرْعانَ ما صَرَخَ قائِلاً :

ــ مَنِ الَّذي مَسَّ مِلْعَقَتي ؟

وَقالَ الدُّبُّ الأَوْسَطُ :

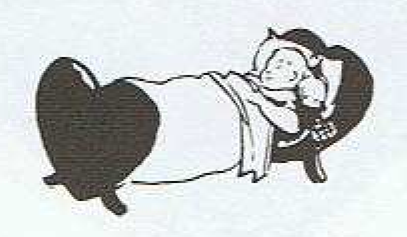
ــ وَمَنِ الَّذي ذاقَ طَعامي ؟

ثُمَّ صَرَخَ الدُّبُّ الأَصْغَرُ بِصَوْتٍ حادٍّ :

ــ وَمَنِ الَّذي أَكَلَ طَعامي وَكَسَرَ مَقْعَدي ؟

نَظَرَ الدِّبَبَةُ الثَّلاثَةُ إِلى بَعْضِهِمْ وَالدَّهْشَةُ تَعْقِدُ أَلْسِنَتَهُمْ ، ثُمَّ تَوَجَّهوا إِلى غُرْفَةِ النَّوْمِ . وَلَمْ يَكَدِ الدُّبُّ الأَكْبَرُ يَقْتَرِبُ مِنْ سَريرِهِ حَتّى صَرَخَ قائِلاً :

ــ مَنِ الَّذي نامَ عَلى سَريري ؟



وَقالَ الدُّبُّ الأَوْسَطُ :

ــ وَمَنِ الّذي جَلَسَ عَلى سَريري ؟

وَقالَ الدُّبُّ الأَصْغَرُ :

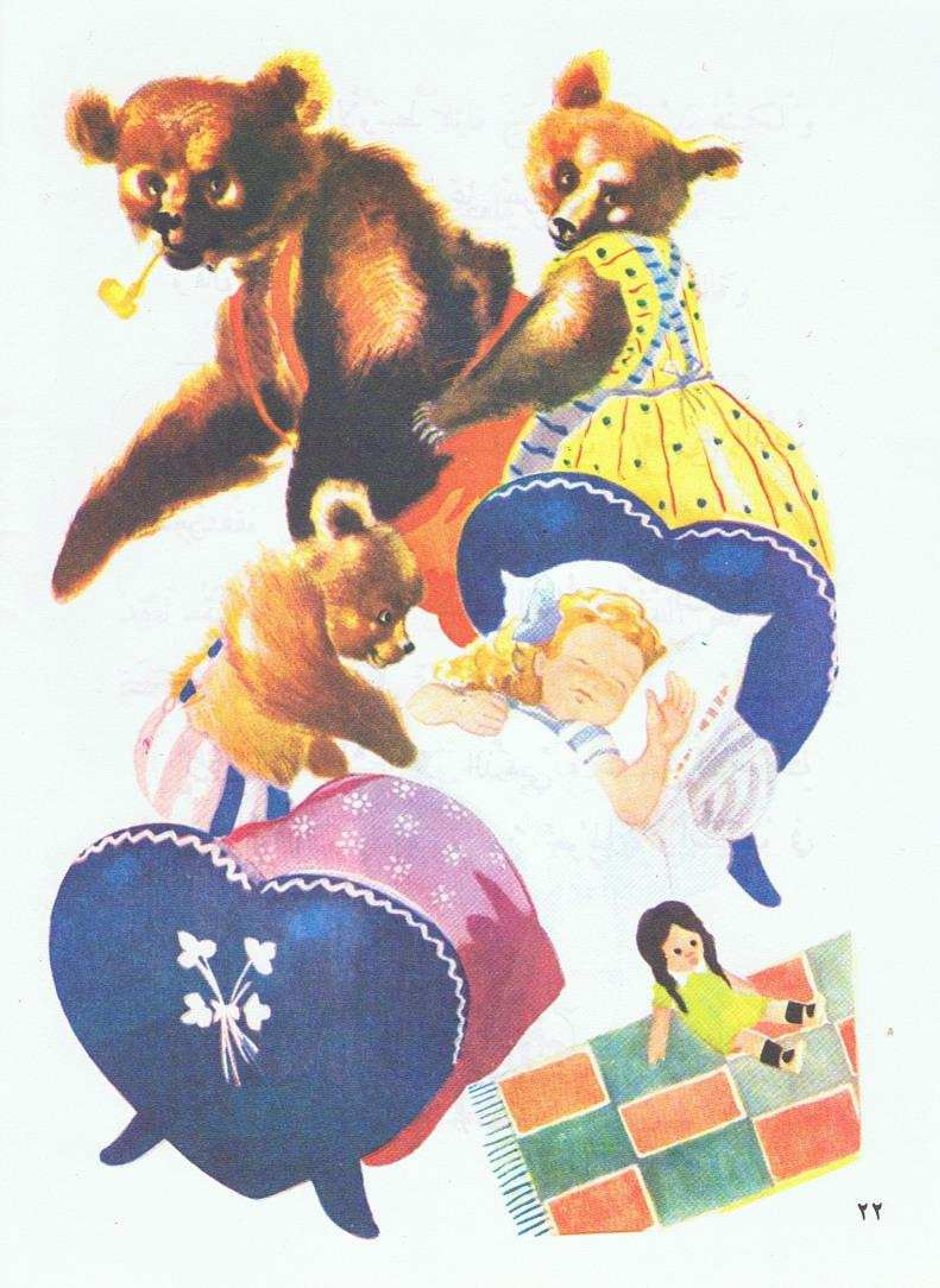
ــ وَمَنِ الَّذي يَنامُ في سَريري؟

لَقَدْ كانَتْ فَتاةً رائِعَةَ الْجَمالِ ، فَصَرَخَ الدُّبُّ الأَصْغَرُ :

ــ كَمْ هِيَ لَطيفَةٌ هَذِهِ الْفَتاةُ ، إِنّي أُسامِحُها عَلى كَسْرِ مَقْعَدي وَأَكْلِ طَعامي .

إِسْتَيْقَظَتْ « أُمُّ الشَّعْرِ الذَّهَبِيِّ » عَلى الأَصْواتِ الْمُزْعِجَةِ الَّتي أَحْدَثَها الدِّبَبَةُ مِنْ حَوْلِها ، وَٱسْتَوَتْ في



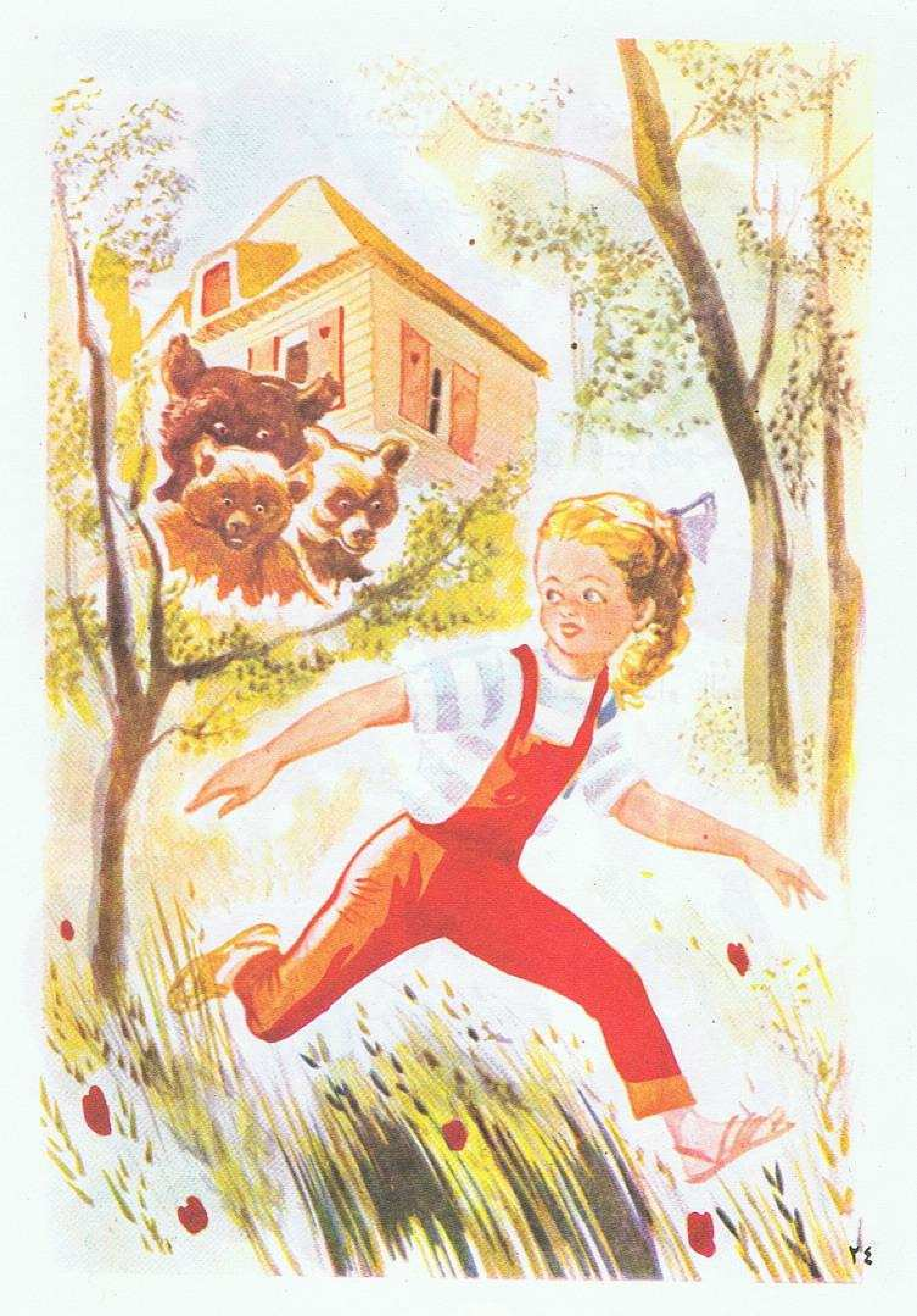


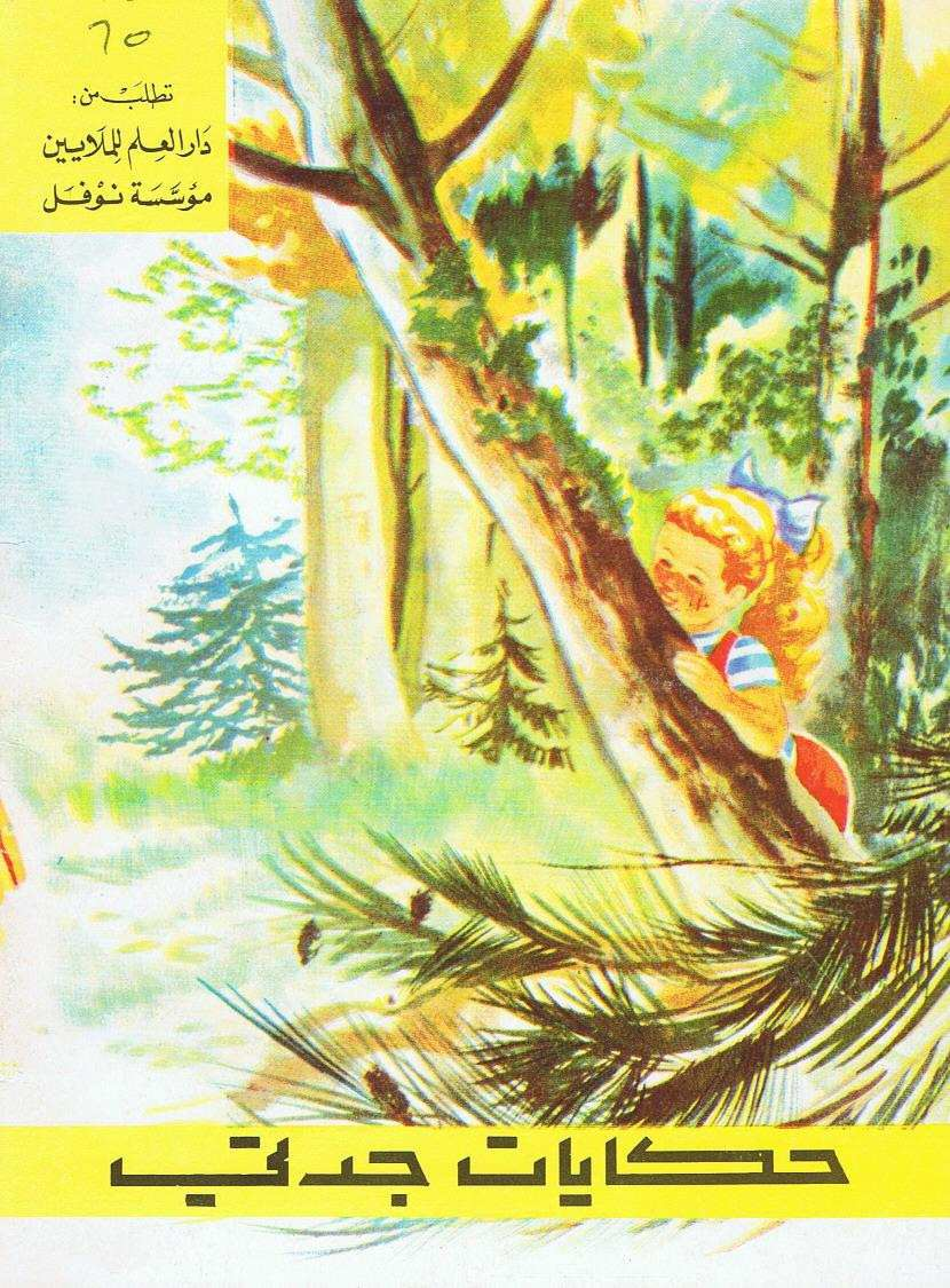
سَريرِها وَهِيَ تَفْرُكُ عَيْنَيها . وَلَمّا فَتَحَتْهُما وَجَدَتْ أَمامَها الدِّبَبَةَ الثَّلاثَـةَ فَفَزِعَتْ كَثيراً ، وَتَلَفَّتَتْ حَوْلَها بِارْتِياعٍ فَوَجَدَتِ النّافِذَةَ مَفْتوحَةً فَقَفَزَتْ مِنْها في مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ ، وَرَكَنَتْ إِلى الْفِرار .

وَرَآها الْعُصْفورُ مَذْعورَةً فَأَشْفَقَ عَلَيْها وَحَطَّ عَلى كَتِفِها وَقادَها إِلى مَنْزِلِ أَبَوَيْها .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحينِ لَمْ تَعُدْ « أُمُّ الشَّعْرِ الذَّهَبِيِّ » تُخالِفُ أَمْرَ أُمِّها ، وَعاهَدَتْها أَلاّ تُصْغي لِنِداءِ الْغُصونِ في الْغابَةِ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَبَداً .







٦٥
تطلب من:
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل
حكايات جدتي